منافذ التعبير عن الحرية في شعر الصعاليك
دراسة تحليلية حجاجية

د .مشتاق طالب منعم

جامعة واسط – كلية التربية الأساسية – قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

تكشف البنية العميقة للنص الشعري الجاهلي (الصعلوكي)، أن موضوعة الحرية، والبحث عنها، كانت موضوعةً محوريةً وأساسيةً، ووسيلة اتصال، ومفتاحًا مباشرًا لفهم النص الشعري برمته، لا سيما اذا ما وضعنا في الحسبان أنها تمثل الطرف الآخر، الضدي للعبودية، التي يمارسها الأسياد الذين يمتلكون زمام القيادة، وبيدهم مقاليد السلطة آنذاك على الذات، وهذا الأمر، وبسبب كون السلطة مركزية ولدت تنافرا، وعدم الانسجام بين مكونات المجتمع، وهنا تأتي الوظيفة الشعرية لتجد منافذ ينفد من خلالها الشاعر الى عوالم أخرى، تتوافق مع رؤية الذات، أو تنسجم انسجاما يسيرا مع الطموح الذي يصبو إليه، ويسعى للحاق به.

إن شعور الذات بوجودها وكينونتها، جعلها بالضرورة ترفض أشكال الهيمنة، والاستبداد، والوقوع تحت مطرقة الأعراف، والتقاليد الاجتماعية، وهذا الأمر ولد بالضرورة الكثير من الانقلابات على السلطة العليا المتمثلة بالقبيلة، اذ إن الاحساس بعدم الحاجة الى السلطة العليا مهما كانت قوتها وهيمنتها جعله يرفض تلك السلطة، وربما كان منبع ذلك الاحساس القراءة الفاحصة، الواعية المقترنة بصورة الموت، الذي يمثل النهاية الحتمية لكل انسان، وذلك ما عبر عنه الشعراء أنفسهم، في كثير من قصائدهم الشعرية، فضلا عما رسخ في الذهنية العربية من تراكمات أمدته بها الحياة اليومية، والواقع المعيش.

Abstract

The deep structure of the Pre-Islamic poetic text (Ragamuffins) revealed that the theme of freedom, and the search for it, was regarded a central and fundamental subject, a means of communication, and a direct understanding key of the entire poetic text, especially if we consider that it was represented the other side, namely the opposite of slavery, which was exercised by the masters who had the leadership and the power reins at the time. And because of the centralize authority at that time, the lack of harmony and disparate were appeared among the components of that society. Therefore, the poetic function came to reflect poet's outlets toward the other worlds, to coincide with the vision of the self, or to fit the harmony and ambition that aspired the poet who hoped to take it into consideration.

The sense of the self in its existence and entity inevitably rejected the forms of domination, despotism, and fall under the hammer of social conventions and traditions. Consequently, this generated a lot of coups against the supreme authority, which represented the authority of tribe since the sense of no need made the poet rejected that high authority regardless of its power and domination. Perhaps the source of that rejected sense was the insightful and conscious reading which associated with the voice of death, namely it represented the inevitable end of every human being. Thus, these poetic visions were expressed by those poets themselves, in many of their poetic poems, as well as the accumulations of that era, were established in the Arab's mind, which were accustomed to their daily life and the status of reality in which they were lived in.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين، وبعد:

يبقى الشعر القديم الميدان الواسع والرحب، والرحم الذي تولد منه الدراسات والأبحاث بمناهجها المختلفة، لما يحتويه من نقاط مضيئة أسهمت بشكل فاعل في خلوده على مر السنين والأزمان، وبما أن الحياة في

تطور مستمر، وان العلم لا حدود له لا سيما بعد الانفتاح على العالم الحاضر، وظهور المناهج المختلفة التي طوعت نفسها خدمة للنص الابداعي، وذلك لقدرة النص على المجاراة، والسير جنبا الى جنب مع حركة العلم والتطور، فبعد مرور أكثر من ١٦٠٠ سنة على وجود النص الشعري الجاهلي نجد أنفسنا أمام نص يتجدد، رافضا غبار الزمن، يقف بصورة بهية بوجه التراكمات، والاتهامات التي توجه اليه، فضلا عن ذلك أنه يعبر في الوقت نفسه عن المجتمع بعاداته، وتقاليده وقضاياه، ومن تلك القضايا نشيد الحرية الذي ننشده في عالمنا اليوم، إذ نجده نشيدا لا يمكن نكرانه، فتغنت به حناجر الشعراء بصورة عامة، والصعاليك على وجه الخصوص، لكن بصورة مختلفة بعض الشيء، عما يدور في وقتنا الحاضر، اذ اكتشفوا معالجات أغنت طموحهم، طرحت بأسلوب حجاجي، قائم على معادلة طرح الحجج، والوصول من خلالها الى البراهين والنتائج المرجوة.

وقد كشفت البنية العميقة للنص الشعري الجاهلي (الصعلوكي)، أن موضوعة الحرية، والبحث عنها، كانت موضوعةً محوريةً وأساسيةً، ووسيلة اتصال، ومفتاحًا مباشرًا لفهم النص الشعري برمته، لا سيما اذا ما وضعنا في الحسبان أنها تمثل الطرف الآخر، الضدي للعبودية، التي يمارسها الأسياد الذين يمتلكون زمام القيادة، ويبدهم مقاليد السلطة آنذاك على الذات، وهذا الأمر، وبسبب كون السلطة مركزية ولدت تنافرا، وعدم الانسجام بين مكونات المجتمع، وهنا تأتي الوظيفة الشعرية لتجد منافذ ينفد من خلالها الشاعر الى عوالم أخرى، تتوافق مع رؤية الذات، أو تنسجم انسجاما يسيرا مع الطموح الذي يصبو إليه، ويسعى للحاق به.

إن شعور الذات بوجودها وكينونتها، جعلها بالضرورة ترفض أشكال الهيمنة، والاستبداد، والوقوع تحت مطرقة الأعراف، والتقاليد الاجتماعية، وهذا الأمر ولد بالضرورة الكثير من الانقلابات على السلطة العليا المتمثلة بالقبيلة، اذ إن الاحساس بعدم الحاجة الى السلطة العليا مهما كانت قوتها وهيمنتها جعله يرفض تلك السلطة، وربما كان منبع ذلك الاحساس القراءة الفاحصة، الواعية المقترنة بصورة الموت، الذي يمثل النهاية الحتمية لكل انسان، وذلك ما عبر عنه الشعراء أنفسهم، في كثير من قصائدهم الشعرية، فضلا عما رسخ في الذهنية العربية من تراكمات أمدته بها الحياة اليومية، والواقع المعاش.

إن فكرة البحث قامت على قراءة انتقائية، لنصوص شعرية من شعر الصعاليك، كونهم يمثلون ظاهرة بارزة، ونقطة انطلاق مهمة للبحث عن عالم (واقعي–خيالي) تسوده أجواء الحرية التي افتقدتها الذات ضمن

نطاق القبيلة رغم أن المبدأ العام والمهيمن هو (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)، ومن الجدير بالذكر –وهذا ما شكل نقطة مهمة في الجاهلية– تحول الصعلوك من هامش الى متن.

عالج البحث منافذ التعبير التي استعملها الشعراء في نيل حريتهم، اذ جرى اختيار طبقة مهمشة مسحوقة نالت مبتغاها خارج حدود قبيلتها، ومن الجدير بالذكر أن منافذ التعبير عن الحرية كثيرة في أشعارهم، الا أننا اقتصرنا على خمسة منافذ فقط؛ لأنها انمازت بقوة الحجاج، واختلاف طريقة الطرح والمعالجة. فضلا عن ذلك أننا اقتصرنا على ذكر بعض النصوص؛ لأنها تتماز بالكثرة والسعة.

الحرية والحجاج الفكرة والمفهوم:

الحرية هدف، وطموح، ونزوع نحو الاستقلال، ومحاولة تكوين آلية ترسمها الذات، لا تسمح لأحد من خلالها الاختراق، أو الدخول الى فضائها، مهما كانت صلة قرابته واتصاله، وقوة سلطته، وهذا يعني أنها نسبية وغير ممكنة التحقيق بشكل كامل وفق هذا المعطى، ولو حاولنا البحث عن أصول متكاملة للحرية، لم نظفر بشيء على الاطلاق؛ لأن الله تعالى ومنذ أن وجدت الخليقة، وضع حدودا لا يمكن لأحد أن يتجاوزها[١]، أو أن يحصل على حرية متكاملة، ودليلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٢]، فوجود لا الناهية، مع الفعل المضارع الدال على الحال، أو الاستقبال، قيَّد حرية المتلقي من شيء يجهل ماهيته، وصار هذا الأمر مسلما به، فلا بد لنا أن نستسلم استسلاما تاما أنه لا وجود لحرية مطلقة؛ طالما أن العدل الالهي قد حددها بضوابط وأطر ثابتة، وهذا الأمر حدث خارج أرجاء المعمورة، وحين وجد الانسان على هذه الأرض، صارت العوائق أكثر، وتضاربت المصالح، واختلفت الآراء بحكم طبيعة التكوين الانساني، إذ إن المحافظة على الهوية ليس بالأمر السهل؛ لأن النزوع الذاتي نحو الحرية، ونحو المحافظة على الاستقلالية، أدى الى بروز الأنا التي يؤمن بها الفرد، ويعتقد أنها ملكه الخاص[٣].

وبتطور الحياة، أخذت الدائرة تضيق على الفرد؛ بسبب النشوء والارتقاء الطبيعي للمجتمعات، فصارت الأعراف، والتقاليد، والبواعث، وطبيعة العلاقات المجتمعية، من البواعث المهمة، بل كانت مسوغا للحد من حرية الفرد، وتشكيل اطار ضاغط صادر حريته، وقيَّده بقيود لا يمكن كسرها، وحين نصل الى العصر الجاهلي، نجد أن الحرية قد تلاشت ولم يبق منها شيء، والمسوغات لذلك كثيرة، أهمها:

١- سيد القبيلة: إذ منح النظام الاجتماعي في العصر الجاهلي رئيس القبيلة حرية التسلط على أبنائها وفق قاعدة الرئيس والمرؤوس، فوهب لنفسه كل شيء، وخير شاهد على ذلك قول الشاعر:

لَكَ المِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا
وَحُكْمُكَ والنَّشِيطَةُ والفُضُولُ[٤]

وبناء على ذلك يتبين لنا أن سلب الحقوق برضا أبناء القبيلة أو من دون رضاهم أمر متفق عليه، والمسوغ لذلك سيادته للقبيلة.

٢- وجود الشاعر: ان الفكرة السائدة في العصر الجاهلي، تفيد أن الشاعر صوت القبيلة، ولسانها الناطق المعبر عن تطلعاتها[٥]، ووجودها، وهذه الفكرة قد أخذت الكثير من الفرد ولم تعطه؛ لأن الشاعر في الأعم الأغلب يقترب من السلطة على حساب الأفراد، وذلك ما أوجد فجوة بين الرئيس والمرؤوس؛ لأن الكثير من أبناء القبيلة يختلفون عن رؤية الشاعر في الفكرة والتوجه، إلا أن المفارقة تكمن في أن المتلقي يقبل وجهة نظر الشاعر، ولا يقبل فكرة الجماعة؛ لأن صوتها في ظل وجود الشاعر لم يؤخذ به.

٣- وجود الخطيب: وهذا عامل آخر، من العوامل المهمة التي ألغت قوانين الحرية، وهذا الصوت يأتلف ويتآزر مع سابقه في سلب الحريات وتغييب الرأي الآخر، إذ إن نصيب الأخير الصمت، والتلقي فقط.

٤- العصبية القبلية: من العوامل المهمة، التي ألقت بظلالها على المشهد الفردي، وجعلت الفرد يقبل بما يلقى عليه، وما يطلب منه؛ لأنه على وفق تلك القوانين لا يمكنه أن يحافظ على وجوده إلا بمعجزة، وخير شاهد على ذلك قول مُعَوِّدُ الحكماء:

نعطي العشيرة حقَّها وحقيقها
فيها ونغفر ذنبها ونسود
وإذا تحملُنا العشيرة ثقلها
قمنا به،وإذا تعود نعود[٦]

وقول طفيل الغنوي:

فَذُبَّ عَنِ العَشيرَةِ حَيثُ كانَت
وَكُن مِن دونِ بَيضَتِها جِعالا[٧]

فضلا عن التمايز الطبقي، الذي يعد مشكلة أساسية ورئيسة في المجتمع الجاهلي، إذ إن ذلك التمايز أفرز ثلاث طبقات مختلفة في الحقوق، مختلفة في الواجبات، مختلفة في التعامل، فصارت القبيلة عبارة عن ثلاثة مجتمعات تحتويها أسوار القبيلة الواحدة، وهذه المجتمعات قائمة على تقسيم النسب واللون والطبقة، فتولد عن ذلك نوع من الصراع، إذ ظهرت أصوات رافضة للواقع من جانب، ورافضة للاستلام لقوانين المجتمع من جانب آخر، وشاهدنا على ذلك صوت عنترة بن شداد الرافض:

لا تسقني ماء الحياة بذلة
بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم
وجهنم بالعز أطيب منزل[٨]

إن المسوغات جميعها والمجتمع بأطرافه ومكوناته كافة، لا يمكن أن تسير حياته بصورة طبيعية، مالم تتوافر فيه المعادلة القائلة إن الحرية لا يمكن أن تكون "إلا اذا كان الانسان مع آخر. واذا كان في علاقة مع آخر اذًا كيف تتشابك العلاقات؟ وكيف تستوي في مسار سليم؟. لا بد أن نضع المصطلحات الأربعة في سياق واحد (حرية –مساواة– عدالة–تعددية ثقافية)"[٩] مع اجتماعية، فضلا عن التنازل عن بعض القرارات؛ لأن هذه المصطلحات لا يمكن أن تتآلف في بعض الأحيان ما لم يجر التنازل عن بعضها على حساب مصلحة الذات.

وعليه فإن الانسان ولا سيما الصعاليك حين تعرضوا لضغوطات مجتمعية كبيرة، حاولوا ايجاد منافذ تعبيرية يعبرون من خلالها عن رفضهم القاطع لتقاليد القبيلة، واتضح من خلالها صوت الاباء الرافض لسلطة الآخر، التي تحد من حريته، وتقيده، متخذا الوسائل التي لا تستطيع القبيلة الخوض فيها ميدانا للتعبير عن حريته، ورغبته في اظهار القوة والتفوق، وصولا الى حرية شبه متكاملة، لا يشعر بها إلا من عاشها من خلال الوسائل التي اتخذوها.

مفهوم الحجاج: ينحصر مفهوم الحجاج من الناحية اللغوية في معان متقاربة، فهو مصطلح يدل على التخاصم مع الآخر، وتقديم الحجج والبراهين، أو التغلب على الآخر، بالحجة والدليل، أو قوة الحجة[١٠].

أما اصطلاحا: فليس من السهولة واليسر أن نعطي تعريفا محددا بعينه للحجاج، والسبب في ذلك تعدد ميادينه ومشاربه، فهو موزع بين الفلسفة، والمنطق، والقانون، والسياسة، وغيرها من العلوم، وكل علم ينظر له من الزاوية التي يراها مناسبة، فضلا عن ذلك أنه موغل في القدم، إذ تعود جذوره الى أرسطو بالنسبة للغرب، والجاحظ من العرب[١١]، ونستطيع أن نتوغل أكثر في القدم، وهنا يمكننا القول: إن جذور الحجاج وبداياته بعيدة جدا، وعلينا أن نقر ونعترف أنه وجد قبل أن تخلق البشرية جمعاء، ودليلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾[١٢]﴾كذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ

قَالَ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ وهذه أدلة قاطعة لا تقبل الشك على وجود الحجاج، وجذوره وبداياته الحقيقية، فهي اللبنات الأساسية

للحجاج، ثم انتقلت ظاهرة الحجاج من المجتمع السماوي الى الأرض، لتبدأ التشكلات، والأسس والقواعد العامة لهذا العلم على وفق التخصص العلمي، وإن كان ذلك لا يعني أن العرب وغيرهم في العهود السابقة قد عرفوا هذا المصطلح بتسميته الحالية، لكنهم عرفوا القواعد التي ينطلقون منها، وصولا الى البراهين، لأنه حيثما يوجد البشر يولد الحجاج بالضرورة؛ لأن كل شخص يختلف عن الآخر، وبسبب ذلك الاختلاف سيحدث التحاجج. ويعتقد الباحث أن مفهوم الحجاج عند طه عبد الرحمن يكاد يكون تعريفا جامعا، لأنه اقترن بحديثه عن الخطاب، فلا حجاج دون خطاب، لأن من صفات الخطاب أن يقرن بـ "قصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد الادعاء،ويحصل المنطوق له لقصد الاعتراض، بالاضافة الى تحصيل الأول لقصد التوجه الى الثاني وقصد إفهامه معنى ما، فأعرف أن المنطوق به الذي يستحق أن يكون خطابا هو الذي يقوم بتمام المقتضيات التعاملية الواجبة في حق ما يسمى بالحجاج، إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه الى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[١٤].

لو تأملنا في هذا التعريف، نجد أن الحجاج علم موضوعه الخطاب، باستثناء بعض الخطابات الخالية من التحاجج، وذلك يعني أن الحجاج يمثل علاقة تخاطبية بين ذات تتحدث وتحاول إقناع الآخر، وآخر يستمع لتلك الحجج، ثم قبولها، أو رفضها وفق ما يدلي به العقل، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الحجاج جدلي، لأن هدفه اقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع، وأغنى من البنيات الذهنية الضيقة، كأن تبنى الانتقالات فيه على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان، بل هذه الصور مجتمعة أيما اجتماع وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج[١٥].

ولا أريد أن أطيل في الحديث عن هذا المفهوم، بقدر ما أريد أن أقدم صورة موجزة عن ماهيته وبداياته، وأعتقد أن المصادر التي تحدثت عنه قد أغنت مفهومه وتوسعت فيه[١٦]، أما عن علاقة شعر الصعاليك بالحجاج، فهي علاقة وثيقة، بل أن نصوصهم تمثل منطلقا حجاجيا واضح الدلالة، طالما أن هذه الفئة عاشت قطيعة حقيقية بينها وبين مجتمعها، فضلا عن ذلك أن نصوصهم توافرت فيها الحقائق،

والافتراضات والقيم، وغيرها وهذه كلها منطلقات حجاجية جديرة بالبحث والدراسة.

منافذ التعبير عن الحرية: انتهج الصعلوك مناهج كثيرة، ومتنوعة للتعبير عن رفض سلطة القبيلة وتقاليدها، وما يتعرض له من ظلم، واضطهاد، وحرمان، وسلب للحقوق، وأيسر تلك الحقوق الحرية الذاتية التي من الممكن أن يحصل عليها، فقد عبر الشعراء الصعاليك عن حريتهم، ورفضهم للواقع المأساوي الذي يعيشون فيه، من خلال ما يأتي:

١- الصحراء منفذ للتعبير عن الحرية: تعالت صيحات أبناء القبيلة الأصلاب منهم والأحلاف في رفض الأعراف والتقاليد القبلية، وهذه نتيجة متوقعة بحكم اختلاف الأمزجة بين الأفراد- وما كان لتلك الصيحات أن تثمر، لولا تكوين تلك الفئة (الصعاليك) التي مثلت تحولا كبيرا، وانعطافة مهمة في تاريخ العرب في العصر الجاهلي[١٧]. وما كانت تلك الأصوات لتظهر لولا بحثها عن حريتها واستقلالها، إذ إن "هذه الفئة من البشر عانوا من الظلم والاضطهاد والفقر والامتهان من أهليهم فاضطروا الى التمرد عليهم، وكان لا بدَّ لهم أن يعيشوا كأي كائن حي"[١٨]، وفي هذا الواقع لا بد للصعلوك أن يجد البديل، لأن واقعه المعيش صار معاديا بالنسبة له طالما صار يعكس رؤية شبه خالية من التوافق والائتلاف، بفعل الضيق النفسي والعذاب الجسدي، والرؤية العينية التي انعكست على ذاكرته فكونت صورة بقيت شاخصة في ذهنه في كل وقت وحين، فكوَّن ذلك المشهد فكرة الموت في الحياة[١٩]، ومن هنا كانت الصحراء ومجاهيلها ومجتمعها الحيواني أول البدائل للشاعر أو الثوري المتمرد على نظام القبيلة والباحث عن الحرية، وربما يفاجئ هذا البديل المتلقي، لكن الحقيقة المرة والواقع جعلهم يرونه أفضل، لأن ما رأوه في مجتمعهم كان "مخيفا مختلا يسيطر عليه ظلم اجتماعي تسوده أنانية اقتصادية، أو تنقصه عدالة اجتماعية تسوي بين جميع أفراده، وتكافؤ في فرص، يهيء لكل فرد فيه أن يأخذ نصيبه من الحياة كما يأخذ سائر الأفراد، فكانت النتيجة الطبيعية لهذا كله أن فر هؤلاء الصعاليك من النظام الاجتماعي، ليقيموا لأنفسهم مجتمعا فوضويا...فوجدوا في الصحراء الفسيحة التي لا تقيدها الحدود ولا تحد من حريتها حدود...مجالا لا حدود له...حيث يحيون فيه حياة متحررة تسودها العدالة الاجتماعية، وتتكافأ فيه فرص العيش أمام المجتمع"[٢٠]، وهذه غايتهم وهدفهم المنشود الذي يبحثون عنه، فصارت الصحراء من وجهة نظرهم ملاذا آمنا وميدانا رحبا؛ لأنها تشكل عتبة مهمة من عتبات الحرية، وظهرت بشكل جلي في أشعارهم، كونها البديل المهم لواقعه المؤلم، وقد قدم

الشاعر الصعلوك الأسباب والوسائل مدعومة بالحجج والبراهين، على أنها البديل الأنسب للعيش بحرية تامة بعيدة عن القيود، وخير من مثل هذا الاتجاه الشاعر الصعلوك الشنفرى، إذ وقف وقفة متأمل عاشق لأسبابها عاشق لمجهولها، وفي أكثر من موضع، فكانت الأم الرؤوم له:

أقيموا بني أُميَّ صُدورَ مطيِّكـــــم
فإني إلى قوم سواكم لأميــلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مقمـــرُ
وشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرْحُــلُ
وفي الأرضِ مَنأًى للكريم عنِ الأذى
وفيها لمن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ
لَعَمْرُكَ ما بالأرض ضيقٌ على امرىء
سَرى راغباً أو راهِباً وهو يَعْقِلُ
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ
هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ
لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ[٢١]

إن وجهة نظر الشاعر واضحة، إذ استطاع أن يعبر وبكل جرأة وإقدام عما يدور في خلده، معلنا الرحيل، ولم يكن هذا الأمر مقتصرا على صعيد الذات، بل جاء الخطاب موجها للآخر، بدلالة فعل الأمر (أقيم)، المقترن بواو الجماعة، التي تشي بأن الأمر لم يتعلق بالذات الفردية، بل بالجميع، ومن المفارقات المهمة التي لا بد من الاشارة اليها (أن الجماعة لا بد أن تقترن بالقبيلة)، لكنه استطاع أن يكشف عن بنية جماعية مهمشة من الداخل إذ إن صرخته "هذه تمثل لون التحدي، لأنه يعتقد أن الأرض جميعها أرضه، وأن انتقاله من مكان إلى آخر هو انتقال على الأرض التي من حقه أن يتحرك فوقها، فإذا أحس بأن لوناً من الأذى قد وقع عليه أو أن قبيلته أساءت إليه فإن من حقه أن يترك أرضه إلى ارضٍ يكون فيها كريماً ، وإلى مكان يكون فيه عزيزاً "[٢٢].

وقد وظف الشاعر أدوات الحجاج توظيفا يدل على حرفية عالية في التعامل مع النص من خلال تقديم اطروحات شكلت دعائم حجاج مهمة، واتضحت أهمية تلك الاطروحات من خلال تعضيدها بالروابط الحجاجية ثم الحجج، ويمكن تمثيلها بالآتي:

الاطروحة	الرابط الحجاجي	الحجة
فكرة الرحيل والانتقال الى عالم آخر	الفاء	تأكيد الذات في البحث عن حريتها ومبتغاها الذي فقدته.
توافر مقومات الرحيل	الفاء	الغايات والمطالب فرضت سلطتها على الذات ولا بد من البحث عن البديل
اقناع الذات بأن الحياة التي يبحث عنها موجودة في الصحراء	الواو	الخروج أفضل والأرض ترحب بمن يرتئيها له سكنا، فهي أفضل من المحيط الذي قيده وحدَّ من حريته
الأرض رحبة تتسع للجميع	لام القسم	حالة الخروج سواء أكانت برغبة أم خوف فهي أفضل من البقاء
تأكيد الرغبة في الانفصال	الواو	وجود من يرحب ويحفظ السر ولا يغدر بصاحبه، وهذا هو البديل.

لو تأملنا ما ورد في هذا الجدول من الاطروحات المقدمة، ووضعناها على خط واحد مع الروابط والحجج، نجد أنها قد حققت الاقناع الذاتي واقناع الآخر؛ لأن الحجج كانت بمستوى الطرح، بل أنها لم تترك مجالا للنقاش، وحققت اقناعا لدى المتلقي، وهذه هي غاية الحجاج.

وبناء على هذا نجد أن السلم الحجاجي قائم على التدرج، ابتداء من لحظة الرحيل، وقطع أواصر التواصل بينه وبين مجتمعه، من خلال ترك اشارات واضحة على واقعه، وتصور عن المجتمع البديل، فأسهم في استدراج المتلقي لاقناعه بالقرار، وفي هذا السياق تتضح الظاهرة الحجاجية، مع المسوغات التي جعلته يكسر قيود القبيلة، فحقق أنواع الحجاج جميعها فهو اخباري، وتحليلي، وتوجيهي، فضلا عن أنه خطاب رأي، وهذا الخطاب يتجلى بالشكل الآتي:

الشنفرى (باحث عن الحرية) ← يمتلك الحجة ← قوية اذا حققت الاقناع

قرار ضعيفة اذا لم تحقق الاقناع= رفض الحجة

الآخر(المستمع) ← قبول الحجة اذا حققت الاقناع أو رفضها=القبول لأنها حققت الاقناع عند المتلقي.

يتبين لنا: إن الشنفرى قطع حلقة الوصل التي تربطه بقومه، وفاز بحريته التي طالما فكر بها بعيدا عن قيود القبيلة وجبروتها، فضلا عن اغراء الذات بالبديل المناسب الذي يحقق له ما يريد، ويوصله الى هدفه المنشود.

ويتكرر المشهد في شعر عروة بن الورد، إذ عبر صراحة عن موقفه ومغادرته قبيلته؛ لأنه شعر بالظلم والحيف والأذى، وهذا ما لا يتناسب مع نفسه التواقة الباحثة عن الحرية، فكانت الأرض الواسعة هي الاجابة المناسبة لمن يسأله:

وَسائِلةٍ أيْنَ الرحيل وَسائِلٍ
ومَنْ يَسْألُ الصِّعلوكَ أينَ مَذاهِبُه ؟
مذاهِبُهُ أنَّ الفِجاجَ عَريضَةٌ
إذا ضنَّ عنهُ بالفعالِ أقاربُه
فلا أترك الإخوان ما عشت للردى
كما أنَّهُ لا يترك الماءَ شاربُه
ولا يستضامُ الدَّهْرَ جاري ولا أَرى
كمن بات تسري للصديق عقاربُه[٢٣]

اعتمد الشاعر على الحجج القائمة على بنية الواقع، والتجربة المعيشة، إذ إن الخطاب الحجاجي فيه إلزام وفرض لوجهة نظر، قدمها الشاعر الى المتلقي، عبر شفرات حجاجية اتخذ منها وسيلة لاقناع المتلقي بوصفها هدفا أساسا لاطروحته، فالمرسل عمد الى توظيف حوار متخيل هدفه تقوية الحجة وصولا الى البرهان، إذ لم يكتف بشخصية واحدة، إنما كوّن أكثر من شخصية، بدلالة (سائلة، وسائل) فضلا عن (من) الاستفهامية التعجبية، وربما يكون السبب الذي يقف وراء ذلك أن مقاصد الصعلوك وطرائقه واضحة ومعروفة لدى الجميع، لأن الصحراء مصدر رزقه الوحيد، ويؤكد بعد ذلك حجته في البيت الثاني الذي جاء جوابا للاستفهام الوارد في البيت الأول، وفي ذات الوقت قرنه باذا الشرطية، التي تعطي انطباعا واضحا عن المجتمع الذي ينتمي اليه، مستندا في حجته على الشرط الذي يسوغ له الخروج المشروط بتخلي الأقارب عنه، وذلك يدفعنا الى القول بأن حجته منطقية غير قابلة للرد، ولم يكتف الشاعر عند هذا، بل أنه- بعد أن أنهى خطابه المتخيل- عمد الى استعمال وسائل حجاجية متعلقة بالذات، منها عدم التخلي عن الجار، والاخوة، وعدم القبول بالتجاوز على الاخر، وغيرها من الوسائل التي يشي بها النص، وتلك وسائل جعلت حجته أكثر قبولا في دعم قراره في الرحيل، والبحث عن الحرية المسلوبة متخذا من حجة الصلاحية "التي تعد النموذج الأساس لرابط التعايش، ذلك أن رأيا ما سيصبح له قيمته بسبب دعم صلاحية ما له، وهي صلاحية يقبلها المتلقي كما هي"[٢٤]، وذلك يدعم حجة المحاجج التي سوغت له الرحيل طالما توافر البديل، ومن

الجدير بالذكر أن الشاعر استعمل وسيلتين اساستين للاقناع، الاولى أن خطابه موجه للعقل لا العاطفة، لأن الأدلة المقدمة مقبولة لدى العقل وتحقق الاقناع، والوسيلة الثانية أنه عمد الى استعمال اسلوب الحوار مع الآخر، لإقناعه بالحجة والوصول الى الهدف المنشود.

ويقول تأبط شرا:

قليلُ التَّشَكِّي للمُهِمِّ يُصيبُهُ،
كثيرُ الهوى،شَتَّى النَّوى والمسالكِ
يظَلُّ بمَوماة، ويمسي بغيرها
جحيشًا، ويعروري ظهور المسالكِ
ويسبِقُ وفد الريح من حيث ينتحي
بمنخرق من شدة المدارِكِ[٢٥]

إنَّ نظرة أولى للنص توحي بوجود المتناقضات بين الرغبة والرهبة، والخوف والاطمئنان، فمن جانب تظهر أنها مخيفة لا يستطيع أي انسان العيش فيها، ومن جانب آخر أنها منفذ واسع، وفضاء رحب تمارس فيه الحرية، بعيدا عن القبيلة ومشاكلها، فهو يستأنس بليلها المظلم، ويشعر بالأمان في أرجائها.

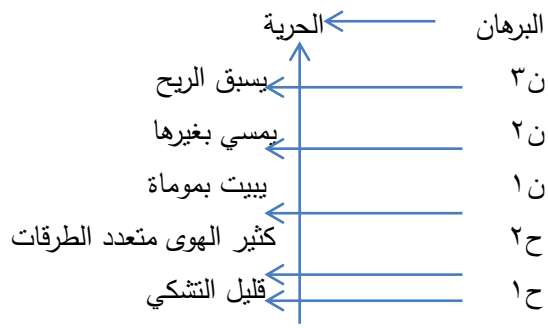

ولو بحثنا عن الخطاب الحجاجي وآلياته في الأبيات الثلاثة، لوجدنا أن أحدهما يكمل الآخر، فلا يمكن الاستغناء عن أحدها، إذ إنَّ البيت الأول هو حجة، وهو مقدمة للبيتين الثاني والثالث، بدلالة الألفاظ (قليل التشكي– كثير الهوى–شتى النوى والمسالك) إذ شكلت تلك الكلمات مفتاحا حجاجيا مميزا لما يأتي بعدها وهو النتائج التي تفضي الى البرهان المتمثل بالحرية(يبيت بموماة–يمسي بغيرها– يسبق وفد الريح) وهو بهذه الأفعال المضارعة، يمارس حريته في الحركة من دون معترض، ولا مانع يحول دونه ووجهة نظره، وهنا –بدلا من أن تكون الصحراء منفذا للخوف والرهبة– صارت منفذا للألفة والاطمئنان، وممارسة الطقوس والحريات، كذلك في استعمال الشاعر التضاد بين (قليل–كثير)، إذ أسبغ على الأبيات حيوية وحركية جميلة، وبناء على ذلك يمكن أن نتخيل السلَّم الحجاجي الآتي:

وعليه يمكن القول: إن الأبيات تقوم على فكرة رئيسة مفادها البحث عن الحرية، التي وجدها في الصحراء ومجاهلها، من جانب، وقطع أواصر الاتصال بينه وبين قومه من جانب آخر، فالخروج على القبيلة المنفذ الأول للحصول على الحرية، والصحراء (البديل) المنفذ الثاني، وممارسة الطقوس والشعائر الخاصة به هي النتيجة الايجابية لذلك كله.

وقد استعمل الشاعر مجموعة من الافعال، توزعت بين الاخبارية، التي وصف بها نفسه، والأدائية التي أوحت بالنتائج، وأخرى قولية تعبيرية، فضلا عن الرابط الحجاجي (الواو) لتنتهي القضية الحجاجية بالأفعال الانجازية (وحيدا ويعروري ظهور المسالك– يسبق وفد الريح).

٢– **المرقبة منفذ للتعبير عن الحرية:**

تعد المرقبة منفذا من منافذ التعبير عن الحرية بما تحمله من دلالات شتى، تتعدد حيالها القراءات، لأن المكان من الممكن أن يعبر عنه بصور مختلفة، ومن تلك الصور أن صدى المكان صرخة تصدح بها الذات، فينتج من خلالها اختيار البديل الذي يشعرها بالأمن والأمان، ونجد هذا التصور واضحا في حديث الشعراء–لا سيما الصعاليك– عن المراقب، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن المراقب قد تصدرت أشعار الصعاليك تلك الفئة التي نأت بنفسها وعاشت معيشتها، بعيدا عن المجتمع الذي وجدت فيه. اذ وجدت كيانها وعبرت عن حريتها من خلال المراقب، ومن هنا يمكن القول: إن الشاعر الصعلوك وجد في مرقبته وحديثه عنها نظيرا بديلا لمجتمعه الانساني الذي عاش فيه، وهناك حلَّ المكان محل الانسان، فكانت بديلا للتعبير عن الحرية المسلوبة، وتأكيدا للكبرياء المسلوب سابقا، المتحقق آنيا في ذلك المكان، الذي أشعره بالتعويض عن الحرمان، وأعاد له الثقة بنفسه، فاستثمر ذلك خير استثمار ابتداء من نقطة الانطلاق التي تمثل الركيزة الأساس التي انطلق منها مبينا صعوبة الوصول اليها، موضحا أنه ليس بإمكان أي شخص الوصول إليها أي شخص مهما كانت قوته ووسائله، ولكن المفارقة تكمن في أن ذلك ليس بعصي على الصعلوك، لأنه يسعى الى اثبات الذات والوجود من خلال الاعتماد على النفس فقط، دون العودة الى مجتمع القبيلة.

أصبحت المرقبة صورة أشعرت أصحابها بالأمان، فصارت منفذا من منافذ التعبير عن الحرية طالما كانت–الحرية– حلما راوده، والشعور بالأمان يعني الحرية في وجه من الوجوه، فضلا عن ذلك أن الصعلوك ما كان أن يقطع الفيافي، والمفازات، والقفار، ويسلك الطرق الوعرة، التي تفصل بينه وبينها، لولا أنها تمثل خير منفذ له، كذلك أنه ما كان ليختار مكانا مرتفعا لولا الشعور الذي

يخالجه فضلا عن الشعور باللذة حين يصل الى منتهى الغاية.

إن حديث المراقب حديث طويل، ويحمل كثيرا من الدلالات الرمزية، التي تشي بها النصوص الشعرية، ولكن في هذا المحور سيجري التركيز على محاكاة النص، الذي يحمل، أو يشير، أو يشي، بأن الصعلوك بحث من خلاله عن الحرية، وعلينا قبل ذلك أن نشخص الآتي:

١- إن خروج الصعلوك من القبيلة هو بحد ذاته يمثل رفضا للظلم، والبحث عن الحرية، والهوية المسلوبة.

٢- إن اختيار المرقبة مكانا، أو منفذا من منافذ التعبير، لم يكن إلا نتيجة من نتائج الخروج والبحث عن الحرية.

٣- إن ممارسة الصعلوك لطقوسه التي يريد ممارستها من دون أن ينهاه ناه أو يعترضه معترض، ما هو إلا ممارسة حقيقية للحرية ومفاهيمها.

٤- أشعرت المرقبة مرتادها أنه أعلى منزلة، وأفضل مكانة من غيره بسبب علوها وارتفاعها.

٥- الحديث عنها وعن تفصيلاتها، وقوة التحدي بين ذات الشاعر، وقسوة الطبيعة التي كانت عائقا يمنع الذات الشاعرة بشكل من الأشكال، يدل دلالة واضحة تشي بصعوبة الوصول الى المرقبة، وبذلك تكون المرقبة رمزا للحرية بحقها وحقيقتها.

وبناء على ما تقدم من معطيات، نجد أنفسنا أمام الكثير من اللوحات، التي صور الشعراء فيها مراقبهم، يقول الشنفرى:

وَمَرْقَبَةٍ عَنْقاءَ يَقْصُرُ دَوْنَها
أَخو الضِّرَوَةِ الرَّجْلُ الحَفِيُّ المُخَفَّفُ
نَصَبْتُ إلى أعلى ذُراها وقد دنا
من الليلِ مُلْتَفُّ الحديقةِ أَسْدَفُ
فَبِتُّ على حدِّ الذِّراعَيْنِ مجْذياً
كَما يَتَطَوّى الأرقم المُتَعَطِّفُ
قَليلٌ جِهازي غَيْرَ نَعْلَيْنِ أَسْحَقَتْ
صُدُورُهُما مَخْصُورَة لا تُخَصَّفُ
وضُنَّيَّةٍ جُرْدٍ وأخلاقِ رَيْطَةٍ
إذا أنهَجَتْ من جانِبٍ لا تَكَفَّفُ
وَأَبْيَضَ مِنْ ماءِ الحديدِ مُهَنَّدٍ
مُجِدٍّ لاطراف السَّواعِدِ مُقْطِفُ
وَحَمراءَ مِن نَبْعٍ أَبيٍّ ظَهـــــيرَة
تَرِنُّ كإرْنانِ الثّجـــــــيِّ وَتَهْتِفُ[٢٦]

لو حاولنا أن نكشف عن مضامين الحرية هنا، لوجدنا أكثر من دليل على ذلك، وأكثر من إشارة، ووجدنا أن الكثير من الحجج التي قدمها كانت منطقية، مستعينا بثنائية الحضور، والغياب التي كانت وسيلة ناجعة لتلقي الحجج واقامة الدلائل، فهو-وان كان يتحدث عن نفسه- لكنه يبث رسالة الى الآخر أراد من خلالها إيصال صوت الحرية

والاحساس بها الى من غابت عنه، ولنا أن نتأمل ما يأتي:

١- المرقبة=الارتفاع والعلو=الترفع عن المجتمع وما علق به من أفكار سوداوية، ونظرة دونية=المغادرة والوصول الى القمة=الحرية.

٢- (نعبت الى أعلى ذراها) كلمة أعلى تعني الوصول الى القمة، وذلك يعني أنه نال ما يريد.

٣- استعمال الشاعر عدة الفارس من سيف وما شاكل ذلك من جانب، وقرار الرحيل، من جانب آخر، وترك كل شيء هو دلالة واضحة للبحث عن الحرية.

٤- إن استعمال الشاعر للروري الفاء، ما هو إلا دليل واضح على أن الشاعر أراد أن يلفظ معها أعراف القبيلة، وتقاليدها، مع زفراته التي يطلقها؛ لأنه شعر بانطلاقه الى عالم الحرية.

٥- على الرغم مما عاناه الشاعر أثناء الرحيل، ووعورة الطريق، وقسوة الوصول الى المرقبة، والصعوبات التي تعرض لها أثناء مروره بالمفازات والقفار، فإنها نابعة كلها من رؤية مفادها أن الحرية تستحق التضحيات.

وقد أسس الشاعر نصه على مجموعة من الوقائع الحجاجية المشتركة بين البشر، إذ إن أولى الوقائع الحجاجية هي صعوبة الوصول الى المرقبة، وهذه حجة لا يمكن دحضها بأي شكل من الأشكال، فبالصبر، والارادة، وقوة العزم، استطاع أن يصل اليها، ثم إن الحديث عن الذات، والتسلح بعدة الحرب، تمثل واقعا حجاجيا يدل على القوة والشجاعة من جانب، ومن جانب آخر، أراد أن يثبت من خلاله أن لديه القوة الكافية، والشجاعة التي تمكنه من تجاوز الصعاب وحده، دون الرجوع الى مجتمع القبيلة الذي حرمه من حريته، التي ينعم بها غيره، فضلا عن ذلك وعلى الرغم من كونها وقائع حجاجية، فإنها تمثل حقائق لا يمكن نكرانها.

إن أهم ما يمكن أن نسجله على النص، هو قضية التدرج المعكوس، الذي مثل أهم خصيصة حجاجية، فالشاعر لم يبدأ من لحظة الرحيل؛ إنما بدأ من لحظة الوصول الى المرقبة، أي أنه انطلق من النتيجة والبرهان، وهذا ما جعل الحجة أقوى، والدلالة أكثر فاعلية، مما لو انطلق من لحظة الرحيل، إذ إنَّ حديثه حديث مجرب عاش لحظة الشعور بالانتصار، وتحقيق الحلم الذي كان يسعى الى تحقيقه، فكان يصف ما كان لا ما سيكون، لأن تقديم البرهان والنتيجة على الحجج يعد من أقوى وسائل الاقناع طالما أن الهدف الأساس للحجاج تحقق الاقناع لدى المتلقي، ومن الجدير بالذكر أن الشاعر لم يكثر من استعمال الروابط الحجاجية؛ لأنها وسائل تزيد قوة الحجة وتحقق الاقناع لدى المتلقي، فهو لم يكن بحاجة الى استعمالها، لأن النتيجة

حاضرة لحظة الحرية متحققة. وعليه فإن النص يرتبط بسلسة من العلاقات على وفق الآتي:

- لأنها مرقبة عنقاء–لا بد من الوصول اليها.
- لأن الرجل يقصر دونها–فلا يصل اليها إلا من يمتلك الارادة.
- لأن الوصول اليها أمر صعب–لا بد من التخفيف من الحمل.
- لأن الطريق شائكة–لا بد من استعمال نعلين.
- لأن الطريق موحشة–لابد من التجهز بالسيف.

وذلك كله يعود بنا الى البداية، وهو الحصول على الحرية، وهنا يتبين أن هناك علاقات حجاجية تربط بنيات النص الشعري، وبهذا يكون البيت الأول، المفتاح البنائي الحجاجي للنص بمجمله.

أما مرقبة تأبط شرا، فإنها تمثل علو الذات، والمكان الحصين، الذي تمارس فيه حريتها، فهي أعلى المراقب متلقية للسماء، فضلا عن كونها تمثل وسيلة الوصول الى غاية هي الحرية.إذ يقول:

ومرقبةٍ يا أمَّ عمرو وطمرة
مذبذبةٍ فوق المراقب عيطل
نهضتُ إليها من جثوم كأنها
عجوزٌعليها هدملٌ ذات خيعلِ[٢٧]

يتبين الحجاج في البيتين أعلاه، من خلال لجوء الشاعر الى التفسير بعد الايهام، وهذا ما تحدث عنه بيرلمان، فهو يعد التفسير صورة حجاجية بليغة؛ لأنه من خلالها يتبين أثر تلك الرسالة على المتلقي، وفي هذه الصورة جرى ايضاح المقصد في البيت الثاني، فقدم في البيت الأول إخبارا عن مرقبة تعلو فوق المراقب، ولا ننسى النداء الموجه الى أم عمرو، وما له من دلالات، سواء أكانت تلك المرأة حقيقية أم لها دلالة رامزة، وإن كانت دلالتها الرامزة أقوى، فربما تمثل أم عمرو القبيلة، بدلالة البيت الثاني (نهضت) التي تحمل معنى أعمق، وأبلغ من غيرها، لأن فعل النهوض يأتي بعد استسلام لأمر ذاتي، مثل النعاس، أو النوم أو الخضوع، والقبول بالواقع، فجاء الفعل (نهض) لينفض من خلاله غبار الزمن، والذل، منطلقا الى فضاء الحرية الرحب، وبناء على ذلك يمكن القول: إن علاقة الشاعر بالمرقبة العالية، علاقة توافق وانسجام فضلا عن كونها وسيلة لغاية أسمى، يرغب بها الانسان هي الحرية، بدلالة الآتي:

١- إنها أعلى المراقب، وهذا الأمر يمكنه من رؤية الجميع صغارا، وأقل شأنا منه، وبهذا أصبحت العلاقة معكوسة تماما، فبدلا من أنه كان في اطار قبيلته يمثل طرفا سالبا، وكانت النظرة إليه نظرة دونية رغم

الاستواء على مكان واحد، صارت القضية معكوسة تماما.

٢- متلقية السماء، وفي ذلك دلالة كبيرة ومميزة على أنه لا يمكن الوصول اليها، وعليه لا يمكن أن يصل الى مكانته، ومنزلته أي شخص.

٣- إنها مثلت المكان الحصين، الذي يصعب الوصول اليه، فهو يمارس حريته من دون أن يعترض عليه معترض، بينما تتضح صورة المجتمع من خلال ذلك صورة صغيرة؛ لأن هناك من يمنعها من ظروف بيئية، ومجتمع، وأعراف، وتقاليد.

٣-قمع العاذلة منفذ للتعبير عن الحرية:

يعد موضوع العاذلة من الموضوعات التي تحدث عنها النقاد كثيرا في حديثهم عن بنية القصيدة،وفسّروها تفسيرات مختلفة، وقد يقترب بعضها من بعضها الآخر، وقد يختلف اختلافا كبيرا، فهي تمثل صورة من حديث حقيقي، أومتخيل بين رجل وعاذلته، وغالبا ما ينتهي بقمع إرادة العاذلة، وعدم الاكتراث بما تقول، إلا أن أهم ما يمكن الاشارة إليه أن لوحة العاذلة أو القصيدة التي تفتتح بلوحة العذل، تمثل "بنية فنية تختلف عن بنية القصيدة العربية في النظرة التقليدية، فالقصيدة التي تبدأ بالعاذلة تمثل وحدة موضوعية متماسكة"[٢٨]، وهذه الاشارة تعطينا تصورا مختلفا عن القصائد الاخرى؛ لأن الافتتاح يعد ثورة على القالب التقليدي القائم من جانب، ومن جنب آخر تشي بأهمية موضوع لا يحتمل أن يقدم له بالمقدمات التقليدية، وهو دخول مباشر لا يقصد منه جلب انتباه المتلقي، أو طلب الاصغاء، لأنها تبدأ بالقطع ونفي رغبة الآخر، ولم يأت هذا الأمر من فراغ؛ إنما هو نتيجة تحولات خطيرة في البنية المجتمعية التي ينتمي اليها الشاعر، أو نتيجة أزمات تمر بها الذات الشاعرة، لتؤدي في نهاية المطاف الى قمع إرادة الآخر.

إن النص الصعلوكي حافل بالعديد من صور الحوار مع العاذلة، إذ تعطينا صورة شبه مكتملة عن الواقع المعيش من جانب، وعن النتيجة والاسلوب المتبع فيها من قبل الذات اتجاه الآخر.

وقد مارس الشاعر الصعلوك أساليب حجاجية شتى، اختلفت باختلاف المواقف المعبر عنها، وتنوعت الوسائل، فتارة يستعمل الشاعر الروابط الحجاجية في خطابه، وأخرى يستعمل الوقائع، وثالثة الافتراضات والحجج المنطقية وشبه المنطقية، غير مبال بما يسمع من العاذلة، ولم يكتف بذلك، إذ غالبا ما يكون رده عنيفا، لأن رد الفعل لا بد من أن يتناسب مع الفعل، وخير شاهد على ذلك قول الشنفرى:

دعيني وقُولي بعدُما شئِت إنَّني

سَيُغْدَى بِنعْشي مَرَّةً فأُغَيَّب[٢٩]

استعمل الشاعر فعل الأمر (دعيني)، الذي يشي بالشدة، والقوة، والعنف، ويمثل صرخة مدوية بوجه المعترض وتعالي الذات على الآخر المعترض، فضلا عن ذلك نلحظ صورة من صور المفارقة في هذا البيت هي أن الصعلوك من وجهة نظر القبيلة غير معترف به، ولا يسمع منه ولا يستمع له، لكن الشنفرى من خلال هذا أراد أن يبعث رسالة واضحة يبين من خلالها أن صوت الحياة مازال حيا، وصوت الحرية أعلى من الأصوات الأخرى، فلا بد من أن يقمع صوت العاذلة؛ ليرسم من خلاله وهج الحرية، لأنها الصوت والصورة التي يبحث عنها بدلالة (دعيني) المطلقة، فضلا عن استشرافه للمستقبل، بدلالة السين المقترنة بالرابط الحجاجي (الفاء)، الذي شكل محورا فاعلا في تكوين البنية الفكرية الباحثة عن الشعور بالحرية الرافضة للذل والهوان، فطالما النهاية هي الموت، فلا بد أن يرسم طريق حريته، وبناء على ما تقدم يمكن أن نقول: إن فكرة الشاعر الأساسية بدأت من الكلمة الأخيرة في البيت الشعري، إذ إنها تمثل النهاية الحتمية للإنسان وما بين الموت والحياة طريق طويل لا بد أن يرسمه بطريقته الخاصة، ذلك:

- لأن الموت النهاية، فلا بد من البحث عن الحرية.
- ولأن الموت النهاية، فلا خوف من المخاطر.
- لإن الموت النهاية، فلا داعي للخوف من المخاطر.
- ولإن الموت هو النهاية، فلا يقبل بالعذل.

اعتمد الشاعر في نصه على الوقائع الحجاجية الحقيقية، التي استعملها في بناء نصه، وتتضح الصورة –صورة الحرية – بشكل أوضح في الأبيات الأخرى، إذ يقول:

خَرَجنا فلم نعهد وقلَّت وصاتُنا
ثمانيةٌ ما بعدها متعتَّبُ
سراحين فتيان كأنَّ وجوههم
مصابيحأ ولون من الماء
مذهبُ
نمرُّ برهو الماء صفحًا وقد طوَت
شمائلنا والزادُ ظنٌّ مغيَّبُ[٣٠]

تؤكد الفكرة الرئيسة في الأبيات الفكرة الموجودة في البيت السابق، إذ إن الخروج وعدم الاعتراف بالعاذلة تمهيد لفكرة الحرية، التي اتضحت معالمها في النص، إذ اتخذ الشاعر من المعادل الرمزي والصورة التشبيهية وسيلة لإظهار الارتواء، والظفر، والقوة، والشجاعة في آن معا، وهذا ما جعل الصورة تشكل آلية حجاجية واضحة الدلالة، معتمدة على البنية الفكرية لدى المتلقي، فالمخيلة العربية اعتادت على أن ترى في

الذئب رمزا للحرية، والشجاعة، والاباء، ليؤكد حجته مدعومة بالرابط الحجاجي (أو) الدال على التخيير، وكلتا الصورتين تشيان برمز الحرية؛ لأن السراحين غير مقيدة بضابط، ولا عرف، ولا مانع يمنعها من تحقيق حريتها، لتأتي الصورة التشبيهية داعمة، وراعية لهذا التوجه، فهو حين يشبه الوجوه بالمصابيح، أو بلون من الماء، ما ذلك إلا دليل واضح على النشوة، والانتصار، وتحقيق ما يريد، ولو كان غير ذلك لكانت الوجوه واجمة، وهنا حقق التشبيه آلية الادعاء، كونها فعلا حجاجيا احتج به الشاعر لتثبيت موقف وتقديم حجة وبرهان وبلا شك فإن التشبيه سيسهم اسهاما فاعلا في تغيير الموقف السابق، فضلا عن كونه حقق ايضاح الموقف، وسيسهم في تحقيق الاقناع لدى المتلقي، الذي ذكره الشاعر في البيت الأول، لذلك جاءت الصورة التشبيهية وسيلة من وسائل الحجاج لتحقيق الاقناع، ويستثمر عروة بن الورد قمع العاذلة منفذا للتعبير عن الحرية، مستعملا الآليات والوقائع الحجاجية التي تؤكد ذلك، فيقول:

دعيني للغنى أسعى، فإني
رأيت الناس شرُّهُمُ الفقيرُ
وأبعدهم وأهونهم عليهم
وإن أمسى له حسبٌ وخيرُ
ويقصيه النديُّ وتزدريه
حليلتهُ وينهره الصغير[٣١]

بُني النص على أسس حجاجية، ارتكزت على مجموعة من الوقائع، المستندة على المشاهدات العينية والتصور المتكون عن بنية المجتمع، التي يمكن أن نصنفها على وفق الآتي:

١- الحجة السببية: إذ إن قمع العاذلة متأت من أسباب منطقية، أفصح عنها الشاعر في الأبيات اللاحقة للبيت الأول.

٢- الحجة الغائية: لكل شيء وسيلة وغاية، وفي هذا النص هناك خروج من أجل غاية، وتحقيق الغاية يرتبط ارتباطا مباشرا بالخروج، فهناك بحث عن غنى، وبحث عن حرية مطلقة، والحصول على الغنى عتبة أساسية من عتبات نيل الحرية.

٣- حجة التجاوز: لجأ اليها الشاعر بعدما رفض حوار العاذلة، مبينا أن الفقير مهان ممتهن من قبل الجميع، ابتداء من الدائرة الكبرى المتمثلة بالمجتمع وصولا الى الزوجة، وهذه كلها مسوغات جعلته باحثا عن الوسائل ليعيش معيشة الكرام بحرية.

حاول الشاعر أن يعيش بكرامة ويمارس حريته، لكنه حتى في تلك اللحظة هنالك من يعترض ويحاول أن يمنعه من هدفه، لكن في نهاية المطاف تنتهي القضية بانتصار ارادة الذات وتحقيق الهدف، هذا من جانب، ومن جانب آخر، نلمح أن الشاعر استعمل

رابطين حجاجيين هما (الواو، والفاء)، إذ أفاد منهما في ربط الحجج ببعضها، فضلا عن تتابع سرد الأحداث.

ومن الجدير بالذكر أن هناك الكثير من النصوص الشعرية، التي ذكرت فيها العاذلة ناهية، أو غير قابلة بخروج الشاعر، لكنه استعمل وسيلة القمع معتمدا على الدلائل والاشارت التي توحي بقوة الحجة، فجعلها صامتة لا يعتد برأيها.

٤- **الفرار منفذ للتعبير عن الحرية:** تعد ظاهرة الفرار من الظواهر المهمة، التي ظهرت في الشعر الجاهلي بصورة عامة، وفي أشعار الصعاليك بصورة خاصة[٣٢]، ومن المعروف أن ترك المعركة والتخلي عن ساحة الميدان، يعد من الأمور المعيبة على صاحبها؛ لأن ذلك الأمر يجلب العار والخيبة للقبيلة التي ينتمي اليها، ويترك نتائجا سلبية على الذات وعلى القبيلة، وهذه الأمور حدت من حرية الفرد، وجعلته يلقي بنفسه على الموت، أو الانتصار، فلا خيار له غير ذلك، لكن الأمر عند الصعاليك يختلف اختلافا كبيرا عن غيرهم، بسبب الحجج الآتية:

١-عدم وجود رابط بينه وبين قبيلته يمنعه من الفرار، وهذا الأمر غاية في الأهمية؛ لأن الشعور بالوحدة وعدم الانتماء يجعل الفرد يتخلى عن قيمه القبلية.

٢-إن معاركهم كانت فردية وليست جماعية، وهذا مسوغ يمنحهم حق الفرار من المواجهة، بسبب عدم القدرة على المواجهة.

٣-عدم التكافؤ في العدة والعدد، جعلهم يسوغون القيم السلبية لصالحهم.

٤-لا يوجد خلفه من يدافع عنه ويخاف عليه من السبي أو الامتهان، فضلا عن ذلك أنه لا يريد العودة الى الامتهان مرة أخرى في حال وقوعه في الأسر؛ لأن خروجه بالدرجة الأساس كان خروجا على الظلم والعبودية.

٥-إن فرصة الفرار تتيح له حياة أفضل من فرصة المواجهة.

٦-الحرية المتكاملة والقدرة على اتخاذ القرار في الوقت المناسب، أعطته الحق في ترك الميدان والنجاة من الموت المحقق، وما يهمنا من وراء ذلك هو البحث عن كيفية التوظيف الحجاجي وكيفية استثمار النص للتعبير عن الحرية.

فمن يقرأ أشعار الصعاليك يجد ظاهرة الفرار معلنة وواضحة للعيان، إذ استطاعوا من خلالها أن يصنعوا بطولات كبيرة، فهذا حاجز الأزدي يسوغ أفكاره، ويقدم حججه التي استعان بها في الفرار، قائلاً:

ألا هل أتى ذات الخواتم فرتي
عشية بين الجرف والنجد من ثغر
عشية كادت عامر يقتلونني
لدى طرف السلماء راغبة البكر
فما الظبي أخطت حلقة الظفر رجله

وقد كاد يلقى الموت حلقة الظفر
كمثلي أوان القوم بين مقيع
وآخر كالنشوان مرتكن يغري[٣٣]

تقوم الأبيات على فكرة الهرب وايجاد مسوغ لها، ومن الملاحظ أن فكرة الهرب كانت واضحة ابتداء من البيت الأول، إذ جعل الفكرة مقترنة بـ (ألا) مقترنة ب(هل) الاستفهامية، وهذه عتبة حجاجية أولى أراد الشاعر من خلالها الافصاح عن الفعل الذي قام به، فضلا عن ذكر الأماكن التي دارت فيها الحادثة. إن هذا التصريح المباشر الذي لا يحتاج الى أي تأويل، يحتاج الى مسوغات وحجج يدعم بها رأيه؛ لأن كلامه من دون حجج يعد من المآخذ التي تؤخذ عليه، فبدأ بتقديم صور حقيقية عن الواقع، واللحظة الآنية التي صاحبها التفكير بالهرب، مبينا أن خطر الموت قد تربص به من كل جانب، وفضلا عن ذلك فإنه أشار الى أن السيل المقبل عليه كان كبيرا، ولا يتمكن من المواجهة الفردية، لأن نتيجتها الموت، ولنا أن نقول: إن منافذ الحرية قبل الفرار، كانت مغلقة تماما، لأن الموت سيلقي بظلاله عليها، وينهي أمله في الحصول على الحرية، وعليه يكون الفرار منفذا من منافذ الحرية؛ لأن النجاة من الموت، حرية نالها بعد هربه من قيود سابقة يأتي في مقدمتها القبيلة.

يمثل انسلاخ الشاعر من القبيلة قبل الفرار عتبة أولى من سلم الحصول على الحرية، والفرار من المواجهة يمثل عتبة ثانية من سلم الحصول على الحرية، لتأتي العتبة الثالثة متمثلة بالحرية القولية، التي باح بقولها الشاعر من دون وازع، ولا خوف، ولا استحياء؛ لأنه لا يخشى من يلومه على ذلك، ففاز بوسام الحياة الذي يمثل الحرية من أوسع أبوابها؛ طالما يمثل الموت تقييدا لتلك الحرية، وذلك يعني أن الشاعر يمتلك الأدلة والحجج والبراهين على ما يقول، ويصور تأبط شرا ما مر به قائلا:

هما خُطَّتا إما إسارٌ ومنَّـــــــــةٌ
وإما دمٌ والقتلُ بالحرِّ أجـــــــدرٌ
وأخرى أصادي النَّفسَ عنها وإنَّهـــا
لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إنْ فَعَلْتُ وَمَصْـــــدَرُ
فرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصَّفَـــا
به جؤجؤ عبلٌ ومتنٌ مخصّـــــــرُ
فَخَالَطَ سَهْلَ الأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا
به كدحةً والموتُ خَزيانُ ينظـــرُ
فأبتُ إلى فهمٍ ولم أكُ آيبـــــــاً
وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِـــــرُ
فَإِنَّكَ لَوْ قَايَسْتَ بِاللِّصْبِ حِيلَتِـــي
بِلُقْمَانَ لَمْ يُقْصِر بِيَ الدَّهْرَ مُقْصِرُ[٣٤]

نلحظ في هذه الأبيات تعدد المقاصد، وتنوع الأهداف، وإن كان الهدف الرئيس والفاعل هو النجاة بغية الوصول الى الحرية، وعلينا

أن نضع بالحسبان أن الشاعر لو كان داخل أسوار قبيلته لما استطاع أن يقدم الخيارات التي قدمها، ولما وقف للتفكير والتأمل، ولضاقت عليه الخيارات، أو اقتصرت على خيارين فقط، وكلاهما يمثلان موتا بالنسبة له، فأما أن يؤسر، ويذل، ويمتهن، أو يموت، وهذا يعني عدم توافر الخيار الثالث، وهنا استحضر الخيارات، وعرضها على نفسه، فوجد الفرار هو الأنسب؛ لأن:

١- الأسر يعني: الذل، والامتهان، والعبودية.

٢- القتل يعني الموت من دون تحقق نتائج.

٣- الفرار يعني الحياة والحرية.

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا البرهان والنتيجة وإن كان على حساب تسويغ القيم السلبية، فضلا عن ذلك أن الشاعر وظف حجتين من الحجج التي تعد ركائز حجاجية لا بد من المرور بها، أو التي يقوم عليها الحجاج هما:

١- حجة التعريف التي كشف فيها ماهية القضية، وعن الواقعة وتفاصيلها.

٢- حجة تأسيس الواقع من أجل الوصول الى السبب، وقدم فيها صورة حقيقية للأزمة التي مر بها، التي من حقنا أن نعطيه الحق، لأن حصل على نتيجة ابتغاها وارتضاها لنفسه.

وانطلق من بيان حالة الأسر، التي تمثل أطروحة أولى، ثم القتل بوصفه أطروحة ثانية، ليأتي بعد ذلك بفعل الفرار الذي يمثل حجة، والحياة برهانا ودليلا على الحرية، ولو اقتصر على أطروحة واحدة لاختل عنده البرهان، فما كان منه إلا أن يستعمل اطروحتين مع حجتين معا، أوصلهما ببعضهما للوصول الى البرهان.

بتلك الافتراضات استطاع الشاعر الوصول الى تحقيق أحدى تلك الافتراضات وترجيحها حجاجيا، وأوصل المتلقي الى الاقناع بالدليل، وهو غاية الحجاج، ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن الشاعر عرف كيف يتعامل مع لغته؛ لأنه أخرج الخيار المنتقى من الدائرة بدلالة هما.

ما عاد الحجاج في النص "افتراضا وتضمينا، بل أصبح تفسيرا وتوضيحا، تفسيرا للأحداث والوقائع، وتوضيحا للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشيائه"[٣٥].

الخاتمة:

توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج يمكن ايجازها بالآتي:

١- إن النص الصعلوكي نص حافل بالدلالات والمعاني التي تحتوي على طاقات دلالية كبيرة أسهمت في تميز نصهم الشعري.

٢- تعددت منافذ التعبير عن الحرية، إذ استعمل الشعراء الصعاليك منافذ شتى في التعبير عن حريتهم التي صادرها النظام القبلي.

٣- استعمل الشعراء الصعاليك وسائل عدة وطرق مختلفة في الوصول الى الحرية، فتارة بالتصريح، وأخرى بالتلميح والايحاء، وثالثة بحديث متخيل مع الذات، أو من خلال ايجاد عاذلات متخيلة .

٤- انماز النص الصعلوكي بقوة الحجة المدعومة بالدليل، والبرهان في التعبير عما يريدون.

٥- النص الشعري الصعلوكي بحاجة الى جهود كبيرة لدراسته وفق الرؤى والأفكار، والمناهج الحديثة.

الهوامش:

١- لم نقصد هنا بالحدود أنها حرمان للشخص من حريته المطلقة، انما نقصد أن الله تعالى هو أعرف بمصلحة العبد، وحين يمنع من شيء فهو لصالحنا، لكننا نعتقد أن الحرمان من الشيء هو التقييد بعينه.

٢- البقرة ٣٥.

٣- ينظر: مشكلة الحرية ١٦.

٤- البيت لعبد الله بن عنمة ورد في قصيدة يرثي بها بسطام بن قيس، ينظر المفضليات

٥- ينظر: العمدة ٦٥/١.

٦- الأصمعيات٢١٢.

٧- ديوانه ١٣٦.

٨- ديوانه ٥٤.

٩- الحرية نسقا ثقافيا ٥٦٥.

١٠- ينظر:لسان العرب مادة (حجج)، كذلك معجم مقاييس اللغة وأساس البلاغة مادة (حجج).

١١* ينظر: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ٣٩-٤٠.

١٢-البقرة ٣٠.

١٣- الأعراف ١٢.

١٤- اللسان والتكوثر العقلي ٢٢٦.

١٥- ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ٦٥.

١٦- ينظر مثلا: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ٣٩ وما بعدها.

١٧- ينظر: ملامح الثقافة العربية لقبول الاسلام ١٠٧.

١٨- ينظر: المصدر نفسه ١٠٨.

١٩- ينظر: الاغتراب في الشعر الجاهلي ١٦٠.

٢٠- شعر الصعاليك في العصر الجاهلي ٥٥.

٢١- شعر الشنفرى الأزدي٦٧ .

٢٢- الأديب والالتزام ٥١ ٠

٢٣- ديوانه ٤٨.

٢٤- تاريخ نظريات الحجاج ٥١.

٢٥- ديوانه ١٥١-١٥٢.

٢٦- شعر الشنفرى الأزدي ١٠٤ .

٢٧- شعره ١٣٢.

٢٨- العاذلة في الشعر الجاهلي ٥٦ (بحث).

٢٩- شعره 96.

٣٠- شعره97 .

٣١- ديوانه ٧٩.

٣٢- ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

٣٣- حماسة البحتري ٦٥-٦٦.

٣٤- شرح ديوان الحماسة ٧٩/١-٨٢.

٣٥- الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه ٢١٤.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
– الأديب والالتزام، نوري حمودي القيسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩. ٠
– أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
– الاصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٤م.
– تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون وجيل جوتييه ،ترجمة: محمد صالح ناجي الغامدي، منشورات مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١، ٢٠١١
– الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، ط٢، اربد، الأردن، ٢٠١١.
– الحرية نسقا ثقافيا ، عبد الله الغذامي، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي السادس الدولي، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٤.
– الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، هاجر مدقن، منشورات الاختلاف، دار ضفاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٣
– ديوان تأبَّط شرًّا، تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
– ديوان الحماسة ، أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢، منقحة ومزيدة بفهارس الشعراء والتعليقات ، ١٩٦٧.
– ديوان طفيل الغنوي،شرح الأصمعي، تحقيق حسن فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧.
– ديوان عروة أمير الصعاليك، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
– شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت٢٧٥هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مراجعة محمود محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.
– شرح ديوان الحماسة، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت٤٧١هـ)، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١.
– شعر الشنفرى الأزدي، لأبي فيد مؤرج بن عمر والسدوسي (ت١٩٥هـ)، تحقيق وتذييل: دكتور علي ناصر غالب، مراجعة: دكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، تقديم: الجاسر، دار الحامد، ط١، ٢٠١١م.

– الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ،د. يوسف خليف ،دار المعارف بمصر – القاهرة ، ١٩٥٩م.
– العاذلة في الشعر الجاهلي، ابراهيم موسى السنجلاوي ، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت،ع٢٨، المجلد٧، ١٩٨٧.
– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني : أبو علي الحسن بن رشيق (ت٤٥٦هـ) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط٣، ١٩٦٣م.
–لسان العرب ، ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي ، اعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت ، (د.ت) .
– اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٦.
– مشكلة الحياة – مشكلات فلسفية معاصرة – د. زكريا إبراهيم ، دار مصر للطباعة – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١م.
– معجم مقاييس اللغة ، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٧٩ .
– ملامح استعداد الثقافة العربية لقبول الاسلام ، أ.د.كاظم حمد محراث، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٤.
– المفضليات ، تحقيق وشرح ، احمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، مط دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٤.
– في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٠.